المكتبة الخضراء للأطفال

١٧

المغامر الجريء

قصص
Stories

بقلم عادل الغضبان

دار المعارف

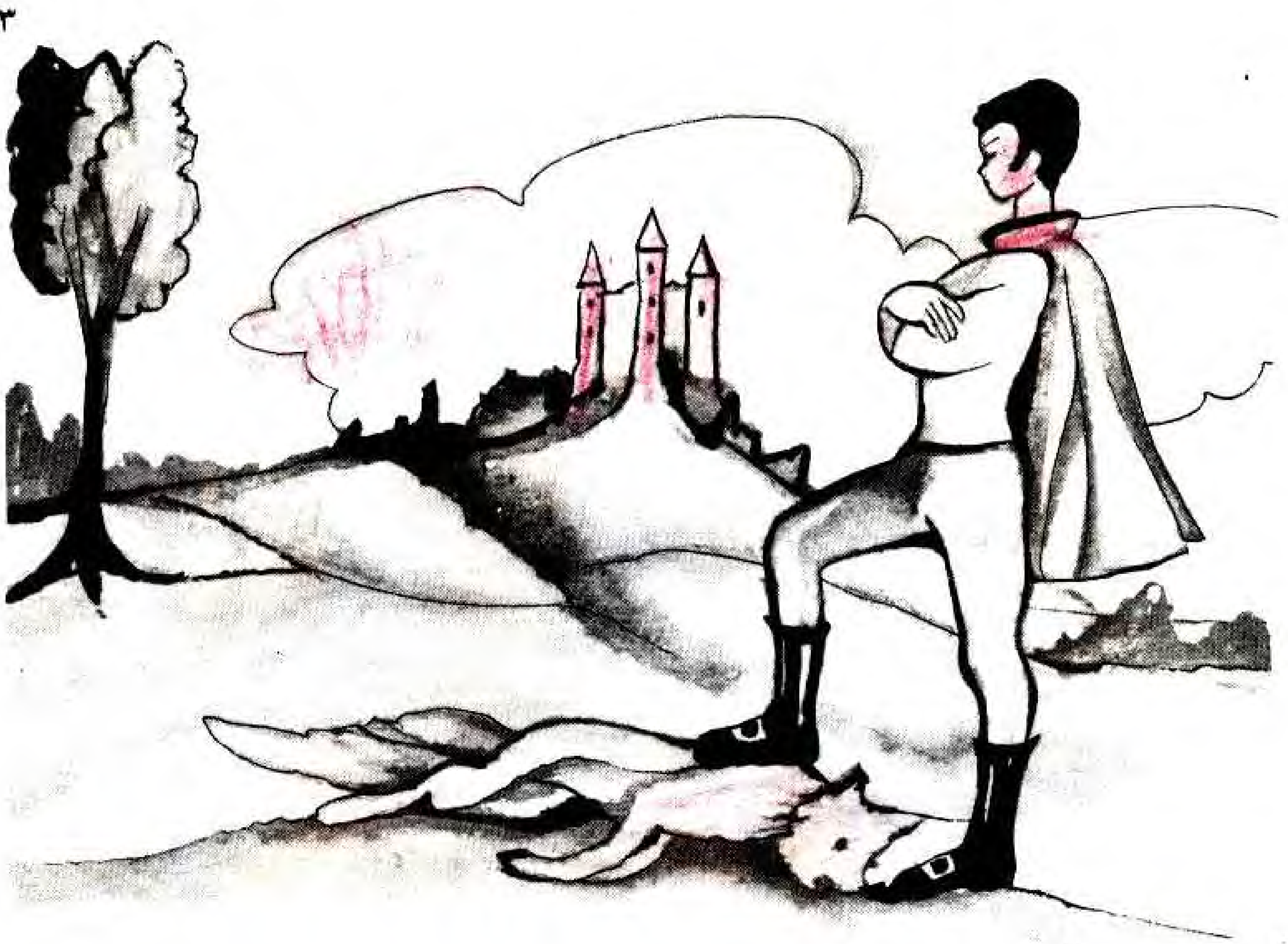
المكتبة الخضراء للأطفال

(١٧)



يقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة عشرة



كَانَ فِى سَالِفِ الزَّمَان ، عَظِيمٌ مِنَ الْعُظَمَاءِ يَعِيشُ فِى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْر ، وَيَمْتَلِكُ فِيهَا الْمَزَارِعَ الْوَاسِعَةَ الْجَمِيلَة .

وَكَانَ لِهٰذَا الْعَظِيمِ ابْن بَهِىُّ الطَّلْعَة ، ذَهَبِىُّ الشَّعْر ، مَمْشُوقُ الْقَامَة ، مَفْتُولُ السَّاعِدَيْنِ اسْمُهُ « أَنْوَر » ، وَلٰكِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَضَافُوا إِلَى اسْمِهِ لَقَبَ « شُجَاع » ، فَقَدْ رَأَوْهُ يَوْمًا وَهُوَ

بَعْدُ فِى الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، يَهْجُمُ عَلَى ذِئْبٍ ضَخْم ، وَيَكِيلُ لَهُ الضَّرَبات بِفَأْسٍ كَانَتْ فِى يَدِهِ ، حَتَّى سَقَطَ الذِّئْبُ قَتِيلًا .

لَبِسَ أَنْوَرُ ذَاتَ صَبَاحٍ مَلَابِسَ السَّفَر ، وَدَخَلَ عَلَى وَالِدِه ، وَرَكَعَ أَمَامَهُ وَقَال :

– « يَا سَيِّدِى وَأَبِى ! لَقَدْ بَلَغْتُ الْيَوْمَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِى ، وَأَوَدُّ لَوْ أُجَرِّبُ حَظِّى فِى الْحَيَاة ، فَأْذَنْ لِى فِى الرَّحِيلِ مُزَوَّدًا بِبَرَكَتِك ».

فَأَثَّرَ هٰذَا الْكَلَامُ فِى نَفْسِ أَبِيه ، وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ شُعُورَهُ وَقَال :

– « إِنَّكَ لَعَلَى حَقٍّ يَا وَلَدِى ، فَمَا كُنْتُ لِأَحُولَ دُونَ رَغْبَتِكَ وَطُمُوحِك ، فَسِرْ تُرَافِقْكَ بَرَكَتِى وَدَعَوَاتِى » .

تَهَلَّلَ وَجْهُ أَنْوَر سُرُورًا ، وَوَدَّعَ الْأَهْلَ وَالْأَتْبَاع ، ثُمَّ غَادَرَ



الْقَصْر ، وَانْطَلَقَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ مُبْتَهِجَ الْفُؤَاد .

وَاسْتَمَرَّ يَسِيرُ فِي رِحْلَتِهِ مُتَنَقِّلًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ مُدَّةَ ثَلَاثِ سَنَوات ، وَلَمْ تَخْلُ رِحْلَتُهُ هٰذِهِ مِنْ أَشْرَارٍ تَعَرَّضُوا لَه ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي صِرَاعٍ خَرَجَ مِنْهُ تَارَةً غَالِبًا وَطَوْرًا مَغْلُوبًا .

وَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ يَوْمًا الاِشْتِرَاكُ فِي حَمْلَةٍ بَحْرِيَّة ، هَدَفُهَا تَأْدِيبُ جَمَاعَةٍ مِنْ لُصُوصِ الْبِحَار ، فَقَبِلَ رَاضِيًا ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ مِنَ السَّفِينَة، فَسَارَتْ لَيْلًا تَمْخُرُ عُبَابَ الْمَاء ، فِي رِيحٍ هَادِئَة، وَمَوْجٍ سَاكِن، وَسَمَاءٍ مُرَصَّعَةٍ بِالنُّجُوم ، وَلٰكِنْ أَظْلَمَ الْجَوُّ فَجْأَة ، وَعَصَفَتِ الرِّياح ، وَثَارَتِ الزَّوَابِع ، فَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ كَسَرَتْ أَلْوَاحَهَا، وَحَطَّمَتْ هَيْكَلَهَا ، فَابْتَلَعَهَا الْبَحْرُ بِمَنْ عَلَيْهَا .

أَمَّا صَاحِبُنَا أَنْوَر ، فَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْر،

فَسَبَحَ وَسَبَحَ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَلَاحَتْ لَهُ بُقْعَةٌ سَوْدَاءُ غَيْرُ بَعِيدَةٍ مِنْه ، وَكَانَتْ إِحْدَى الْجُزُر ، فَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ وَنَزَلَ بِالْجَزِيرَة، وَهُوَ يَجُرُّ قَدَمَيْهِ جَرًّا مِنْ شِدَّةِ الإِرْهَاقِ وَالإِعْيَاء، وَارْتَمَى عَلَى رَمْلِهَا النَّاعِم ، وَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا.

* * *

صَحَا أَنْوَر فِي الصَّبَاح ، وَأَخَذَ يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي رَمَاهُ الْقَدَرُ إِلَيْهَا ، فَرَأَى عَلَى مَرْمَى الْبَصَر ، بَيْتًا كَبِيرًا تَبْدُو فِيهِ نَوَافِذُ عَالِيَة ، لَا يَقِلُّ ارْتِفَاعُ كُلِّ نَافِذَةٍ مِنْهَا عَنْ خَمْسَةَ



عَشَرَ مِتْرًا، فَمَشَى إِلَيْهِ وَقَرَعَ الْبَاب ، فَسَمِعَ صَوْتًا مِثْلَ خُوَارِ الثَّوْرِ يَقُول :

ـ «أُدْخُلْ»

وَعَلَى الأَثَرِ فُتِحَ الْبَاب، وَدَخَلَ مِنْهُ أَنْوَر ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ إِزَاءَ عِمْلَاقٍ (١) يَبْلُغُ طُولُهُ عَشَرَةَ أَمْتَارٍ ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ لَه :

ـ «مَا اسْمُك ؟ وَمَاذَا جِئْتَ تَفْعَلُ هُنَا ؟ »

فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنْوَر نَظْرَةَ الْمُتَحَدِّى وَقَال :

ـ « اِسْمِى أَنْوَر الشُّجَاع ، وَقَدْ جِئْتُ أَبْحَثُ عَنِ الثَّرْوَة » .

فَقَالَ لَهُ الْعِمْلَاقُ هَازِئًا سَاخِرًا :

ـ « إِنَّ ثَرْوَتَكَ مَضْمُونَةٌ عِنْدِى يَا أَنْوَرُ الشُّجَاع ، فَأَنَا فِى حَاجَةٍ إِلَى خَادِمٍ ، فَتَسَلَّمْ عَمَلَكَ فِى الْحَال ... إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِى أَقُودُ فِيهَا قَطِيعِى إِلَى الْمَرْعَى ، فَعَلَيْكَ فِى أَثْنَاءِ غِيابِى أَنْ

---

(١) العملاق : إنسانٌ يفوقُ جنسَهُ في الطُّول والضَّخامة .



تُنَظِّفَ الإِسْطَبْل ، وَحَاذِرْ أَنْ تَدْخُلَ غُرَفَ الْمَنْزِلِ فَفِي ذٰلِكَ هَلَاكُك ! »

فَكَّرَ أَنْوَرُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعِمْلَاقِ وَقَال لِنَفْسِه : مَاذَا لَوْ زُرْتُ غُرَفَ الْبَيْتِ أَوَّلًا ؟ لَا بُدَّ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ مُمْتِعَةً يُرِيدُ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنِّي !

فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ الْأُولَى ، فَوَجَدَ فِيهَا مَوْقِدًا كَبِيرًا فَوْقَهُ قِدْرٌ تَغْلِي وَلَا نَارَ فِي الْمَوْقِدِ فَقَال: مَا هٰذَا ؟ إِنَّ فِي الْأَمْرِ لَسِرًّا ! فَجَزَّ خُصْلَةً مِنْ شَعْرِهِ وَغَمَسَهَا فِي السَّائِلِ الَّذِي فِي الْقِدْرِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ قَدِ اسْتَحَالَتْ إِلَى لَوْنِ النُّحَاسِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْغُرْفَةَ الثَّانِيَةَ ، فَرَأَى فِيهَا مَا رَآهُ فِي الْأُولَى مِنْ مَوْقِدٍ كَبِيرٍ ، وَقِدْرٍ فَوْقَهُ يَغْلِي السَّائِلُ فِيهَا غَلَيَانًا ، وَلَا نَارَ تَحْتَهَا، فَغَمَسَ خُصْلَةَ الشَّعْرِ فِي ذٰلِكَ السَّائِلِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ بِلَوْنِ الْفِضَّة ، وَهٰكَذَا فَعَلَ فِي الْغُرْفَةِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى



مَا تَحْتَوِيهِ الْغُرْفَتَانِ الأولَيَان ، وَلـكِنَّ خُصْلَةَ الشَّعْرِ قَدْ تَحَوَّلَتْ فِى هٰذِهِ الْمرَّةِ إلَى لَوْنِ الذَّهَب ، فَضَحِكَ وَقَالَ : مَنْ يَدْرِى لَعَلَّ السَّائِلَ فِى قِدْرِ الْغُرْفَةِ الرَّابِعَة ، يَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الأَلْمَاس ، فَدَخَلَهَا وَوَقَفَ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ مَبْهُوتًا ، فَقَدْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ فِيهَا عَلَى فَتَاةٍ رَائِعَةِ الْجَمَالِ ، نَظَرَتْ إلَيْهِ فِى شَفَقَةٍ وَأَسَفٍ وَقَالَتْ لَه :

- « مَاذَا جِئْتَ تَعْمَلُ هُنَا يَا مِسْكِين ؟ » فَقَال :

- « أَلْحَقَنِي فِي هٰذَا الصَّبَاحِ رَبُّ هٰذَا الْبَيْتِ بِخِدْمَتِه ، وَحَصرَ عَمَلِي فِي تَنْظِيفِ الْإِسْطَبْل ، وَمَا هُوَ بِالْأَمْرِ الْعَسِير » فَقَالَت :

- « كَانَتِ السَّمَاءُ فِي عَوْنِكَ فَمَا إِلَى تَنْظِيفِهِ مِنْ سَبِيل ، فَكُلُّ مِقْدَارٍ مِنَ الزِّبْلِ تُخْرِجُهُ مِنَ الْبَابِ يَرْجِعُ عَشَرَةُ أَضْعَافِهِ مِنَ الشُّبَّاك ، وَلٰكِنْ سَأَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقَةٍ تَنْتَصِرُ عَلَى السِّحْرِ الْمَعْقُودِ فِي هٰذَا الْإِسْطَبْلِ : اُكْنُسْ أَرْضَهُ بِمِقْبَضِ الْمِكْنَسَةِ ، يَنْدَفِع الزِّبْلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِلَى الْخَارِج ».

فَشَكَرَهَا أَنْوَر عَلَى نَصِيحَتِهَا، وَجَلَسَ إِلَيْهَا يُبَادِلُهَا الْحَدِيث .

وَكَانَتْ هٰذِهِ الْفَتَاةُ ابْنَةَ جِنِّيَّةٍ اسْتَطَاعَ الْعِمْلَاقُ الشِّرِّيرُ أَنْ يَأْسِرَهَا ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى أَنْوَر وَكَرِيمَة (وَهٰذَا اسْمُ الْفَتَاة) غَيْرُ دَقَائِقَ قَلِيلَة ، حَتَّى أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْن ، فَالْمَوَدَّةُ



سَرِيعَةُ الِاتِّصَالِ بَيْنَ قُلُوبِ رُفَقَاءِ الشَّقَاء ، وَوَعَدَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ إِذَا تَمَكَّنَا مِنَ الْفِرَار .

وَكَادَ النَّهَارُ يَنْقَضِي وَهُمَا فِي أَحَادِيثَ حُلْوَةٍ شَائِقَة ، فَنَبَّهَتْ كَرِيمَةُ صَدِيقَهَا إِلَى أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ قَبْلَ عَوْدَةِ الْعِمْلَاق ، فَنَهَضَ مُتَرَاخِيًا كَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ حُلْمٍ جَمِيل ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَاتَّبَعَ فِي كَنْسِهِ الطَّرِيقَةَ الَّتِي ذَكَرَتْهَا لَهُ صَدِيقَتُهُ ، فَانْقَلَبَ الْإِسْطَبْلُ فِي طَرْفَةِ عَيْن ، نَظِيفًا لَامِعًا كَأَنْ لَمْ تَتَجَمَّعْ فِيهِ قَطُّ قُطْعَانُ الْغَنَم .

وَانْتَهَى أَنْوَر مِنْ عَمَلِه ، وَجَلَسَ عِنْدَ بَابِ الدَّارِ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ سَيِّدِه .

وَعَادَ هٰذَا بَعْدَ قَلِيل ، وَذَهَبَ تَوًّا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَشَرَرُ الْغَضَبِ يَتَطَايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يُخَاطِبُ أَنْوَر :

ـ « إِنَّكَ وَلَا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة ... »

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَال :

- مَنْ كَرِيمَةُ هَـذِهِ ؟ أَهِيَ وَحْشٌ مِنْ وُحُوشِ هٰذَا الْبَلَد ؟ » .

فَسَكَتَ الْعِمْلَاقُ وَلَمْ يُجِب ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي جَمَعَ أَغْنَامَه ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى صَاحَ بِأَنْوَروَقَالَ لَه :

ـ « عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَنِي الْيَوْمَ بِحِصَانِي الَّـذِي تَرَكْتُهُ يَرْعَى فَوْقَ الْجَبَلِ، وَلَكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بعْدَ ذلِكَ طُولَ النَّهَار ، وَلَـكِنْ إِيَّاكَ وَدُخُولَ غُرَفِ الْمَـنْزِل ، وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَك ! »



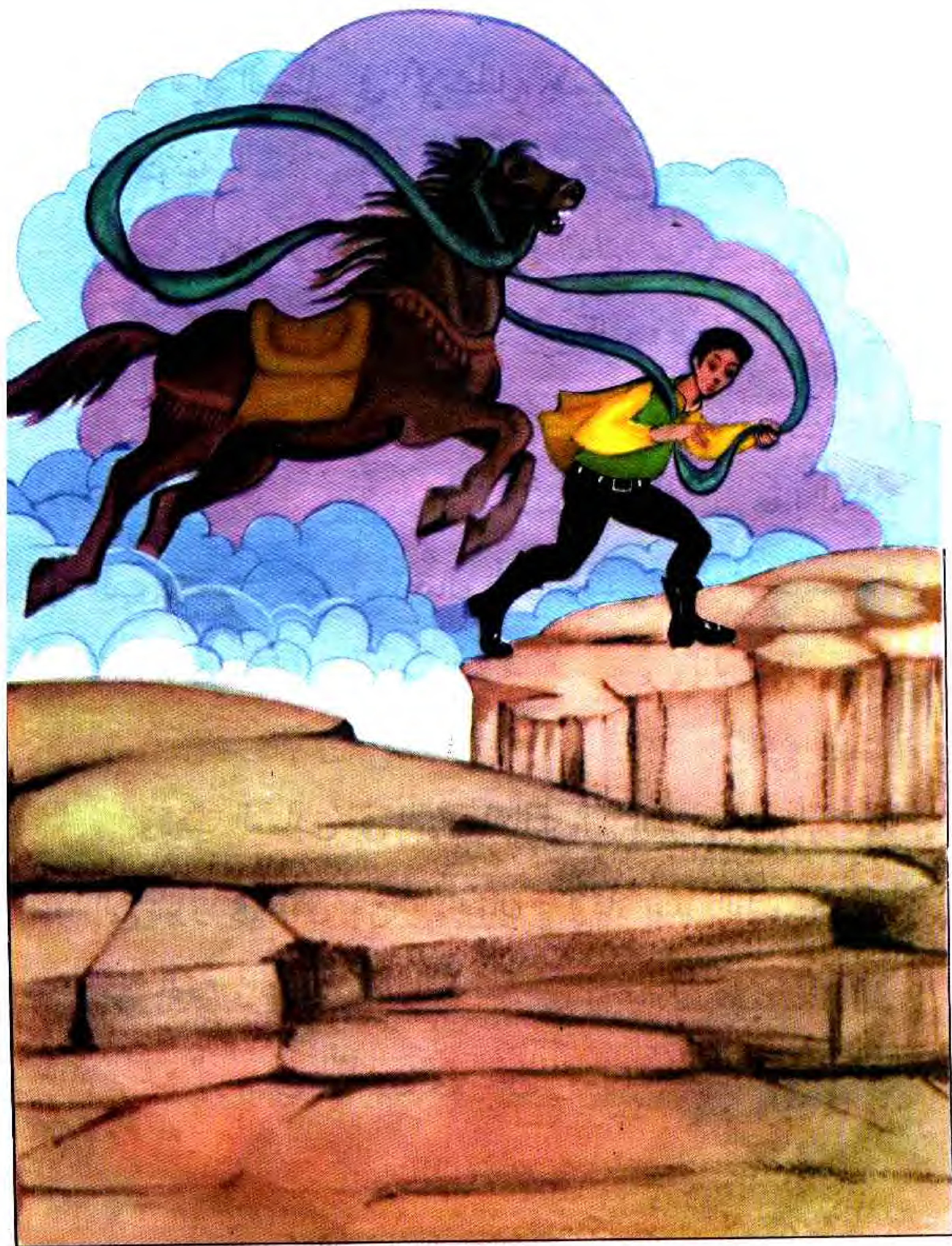
وَلَمْ يَكَدِ الْعِمْلَاقُ يَغِيبُ عَنِ النَّظَر ، حَتَّى سَـارَعَ أَنْوَرُ إِلَى كَرِيمَة ، وَأَخْبَرَهَا عَنْ شُغْلِهِ

فِى ذٰلِكَ النَّهَارِ ، فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَت :

ـ « مَا هُوَ بِشُغْلٍ سَهْل، فَالْحِصَانُ عَنِيفٌ حَرُون، وَلٰـكِنَّنِى سَأُرْشِدُكَ إِلَى وَسِيلَةٍ تُمَـكِّنُكَ مِنْه ، فَأَصْغِ إِلَىَّ : سَوْفَ تَرَى مِنْخَرَيْهِ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَخُذْ مَعَكَ اللِّجَامَ الْمُعَلَّقَ وَرَاءَ بَابِ الإِسْطَبْلِ ، وَارْمِ بِهِ بَيْنَ فَـكَّيْهِ عِنْدَمَا يَفْتَحُ فَمَهُ يُصْبِـحْ أَطْوَعَ مِنْ حَمَلٍ وَدِيع .

فَطَارَ أَنْوَرُ إِلَى الْجَبَلِ وَفِى يَدِهِ الشَّـكِيمَة ، وَرَأَى هُنَاكَ حِصَانًا ضَخْمًا كَالْفِيل ، يَجْرِى إِلَيْهِ وَمِنْخَرَاهُ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَانْتَظَرَهُ أَنْوَرُ بِقَدَمٍ ثَابِتَة ، حَتَّى إِذَا اقْـتَرَبَ مِنْهُ وَفَتَحَ فَمَه ، رَمَى بِاللِّجَامِ بَيْنَ فَـكَّيْه ، فَهَدَأَ وَسَكَن ، فَقَفَزَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْمَنْزِل ، فَأَدْخَلَهُ الإِسْطَبْلَ وَسَارَعَ إِلَى كَرِيمَةَ يَقْضِى مَعَهَا بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِى شَهِىِّ الأَحَادِيث .

وَعَادَ الْعِمْلَاق ، فَلَقِىَ عِنْدَ الْبَابِ أَنْوَر يَسْتَقْبِلُهُ قَائِلًا :



- « إِنَّ الْحِصَانَ فِى الْإِسْطَبْلِ يَاسَيِّدِى » .

فَتَوَجَّهَ الْعِمْلَاقُ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَهُوَ يُزَمْجِرُ وَيَخُورُ خُوَارَ الثِّيرَانِ وَيَقُول :

- « إِنَّكَ وَلَاشَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة...! ».

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَال :

- «مَنْ كَرِيمَةُ هٰذِهِ؟ بِحَقِّ السَّمَاءِ إِلَّا أَرَيْتَنِى هٰذَا الْوَحْشَ الَّذِى تَتَحَدَّثُ عَنْه ! ». فَقَال الْعِمْلَاق :

- « سَوْفَ تَرَاهُ غَدًا » .

. . .

وَذَهَبَ الْعِمْلَاقُ فِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِلَى الْمَرْعَى ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَى أَنْوَر فِى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَال ، وَعَادَ عِنْدَ الظُّهْرِ يَشْكُو مِنَ الْحَرِّ وَالتَّعَبِ وَقَال لِكَرِيمَة :

- « إِنَّ عَلَى الْبَابِ فَتًى هُوَ خَادِمِى فَاذْبَحِيهِ وَضَعِيهِ فِى



الْقِدْرِ الْوَاسِعَةِ وَاطْبُخِيهِ ، وَاسْتَدْعِينِي عِنْدَمَا يَنْضَج » . ثُمَّ اسْتَلْقَى إِلَى سَرِيرِهِ رَاغِبًا فِي قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَة ، فَدَبَّ النُّعَاسُ إِلَى جَفْنَيْهِ ، فَنَامَ وَغَطَّ غَطِيطًا كَأَنَّهُ الرَّعْدُ يُزَلْزِلُ الْجِبَال .

وَعَمَدَتْ كَرِيمَةُ إِلَى سِكِّينٍ حَادَّة ، وَجَاءَتْ بِأَنْوَر وَجَرَحَتْهُ جُرْحًا صَغِيرًا فِي إِحْدَى أَصَابِعِه ، وَأَسْقَطَتْ فِي الْقِدْرِ ثَلَاثَ نُقَطٍ مِنْ دَمِهِ وَقَالَتْ لَه :

ـ « وَالْآنَ سَاعِدْنِي عَلَى مَلْءِ الْقِدْر » .

فَأَلْقَيَا فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ فِي مُتَنَاوَلِهِمَا ، مِنْ ثِيَابٍ بَالِيَةٍ وَأَحْذِيَةٍ قَدِيمَةٍ وَمَا إِلَى ذلِك . ثُمَّ قَادَتْهُ إِلَى الْغُرَفِ الثَّلَاث ، وَتَنَاوَلَتْ مِنَ الْأُولَى كُرَةً صَغِيرَةً مِنْ نُحَاس ، وَالْتَقَطَتْ

مِنَ الثَّانِيَةِ كُرَةً مِنْ فِضَّة ، وَاسْتَوْلَتْ مِنَ الثالِثَةِ عَلَى ثَلاثِ كُرَاتٍ مِنْ ذَهَب ، وَفَرَّتْ هِيَ وَأَنْوَر مُتَّجِهَيْنِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَقَالَتْ لَه :

ـ « عَلَيْنَا أَنْ نُغَادِرَ هٰذِهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَإِلَّا هَلَكْنَا » .

وَبَعْدَ أَنْ نَامَ الْعِمْلَاقُ نَحْوَ سَاعَةٍ ، فَتَحَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَصَاح :

ـ « هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ نُقْطَةُ الدَّمِ الْأُولَى وَقَالَت :

ـ « بَدَأَ يَنْضَج ... »

فَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ سَاعَةً أُخْرَى أَوْ سَاعَتَيْنِ صَحَا بَعْدَهُمَا وَصَاح :

ـ « أَتَسْمَعِينَنِي يَا كَرِيمَة ؟ هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »



فَأَجَابَتْهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّانِيَةُ وَقَالَت :

ـ « يَكَادُ يَنْضَجُ ... »

فَاسْتَسْلَمَ إِلَى النَّوْمِ ثَانِيَةً ، وَاسْتَيْقَظَ بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَصَاحَ وَقَدْ نَفِدَ صَبْرُه :

ـ « وَيْحَكِ يَا كَرِيمَة هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّالِثَة :

ـ « نَضِجَ تَمَامَ النُّضْج ... »

فَبَحَثَ الْعِمْلَاقُ عَنْ كَرِيمَةَ فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا ، وَمَضَى إِلَى الْقِدْرِ وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً فَاحِصَة ، فَهَالَهُ أَنْ يَرَى فِيهَا عَدَدًا مِنَ الْأَحْذِيَةِ وَالْمَلَابِس ، فَتَمَلَّكَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ وَصَاحَ مُتَوَعِّدًا :

ـ « وَيْلٌ لِلشَّقِيَّيْنِ ! لَقَدْ سَخِرَا مِنِّى وَلَكِنْ سَتُكَلِّفُهُمَا هٰذِهِ السُّخْرِيَةُ غَالِيًا » .

وَخَرَجَ يَجْرِى وَرَاءَ الْهَارِبَيْنِ وَهُوَ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ مُخِيفَةً ، فَلَمَحَهُمَا بَعْدَ قَلِيل ، وَكَانَا لا يَزَالانِ بَعِيدَيْنِ مِنَ الشَّاطِئِ ، فَصرَخَ صرْخَةَ فَرَحٍ اهْتَزَّتْ لِصَدَاهَا الْجِبَالُ وَالْغَابات .

وَتَوَقَّفَتْ كَرِيمَةُ وَهِيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْف ، فَضَمَّهَا أَنْوَر إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ يُشَجِّعُهَا :

ـ « لاَ تَجْزَعِى يَا حَبِيبَتِى ، فَالْبَحْرُ غَيْرُ بَعِيد ، وَسَوْفَ نَبْلُغُهُ قَبْلَ عَدُوِّنَا ».

فَقَالَتْ لَهُ مُشِيرَةً إِلَى الْعِمْلَاقِ الَّذِى كَانَ عَلَى بُعْدِ خُطُوَاتٍ مِنْهُمَا :

ـ « اُنْظُرْ . . . هَا هُوَذَا . . . إِنَّنَا هَالِكَانِ إِذَا لَمْ يُنْقِذْنَا هٰذَا السِّحْر ! »

وَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ النُّحَاسِ وَرَمَتْ بِهَا إِلَى الأَرْضِ وَهِيَ تَقُول :

يا كُـرَةَ النُّحَاسِ

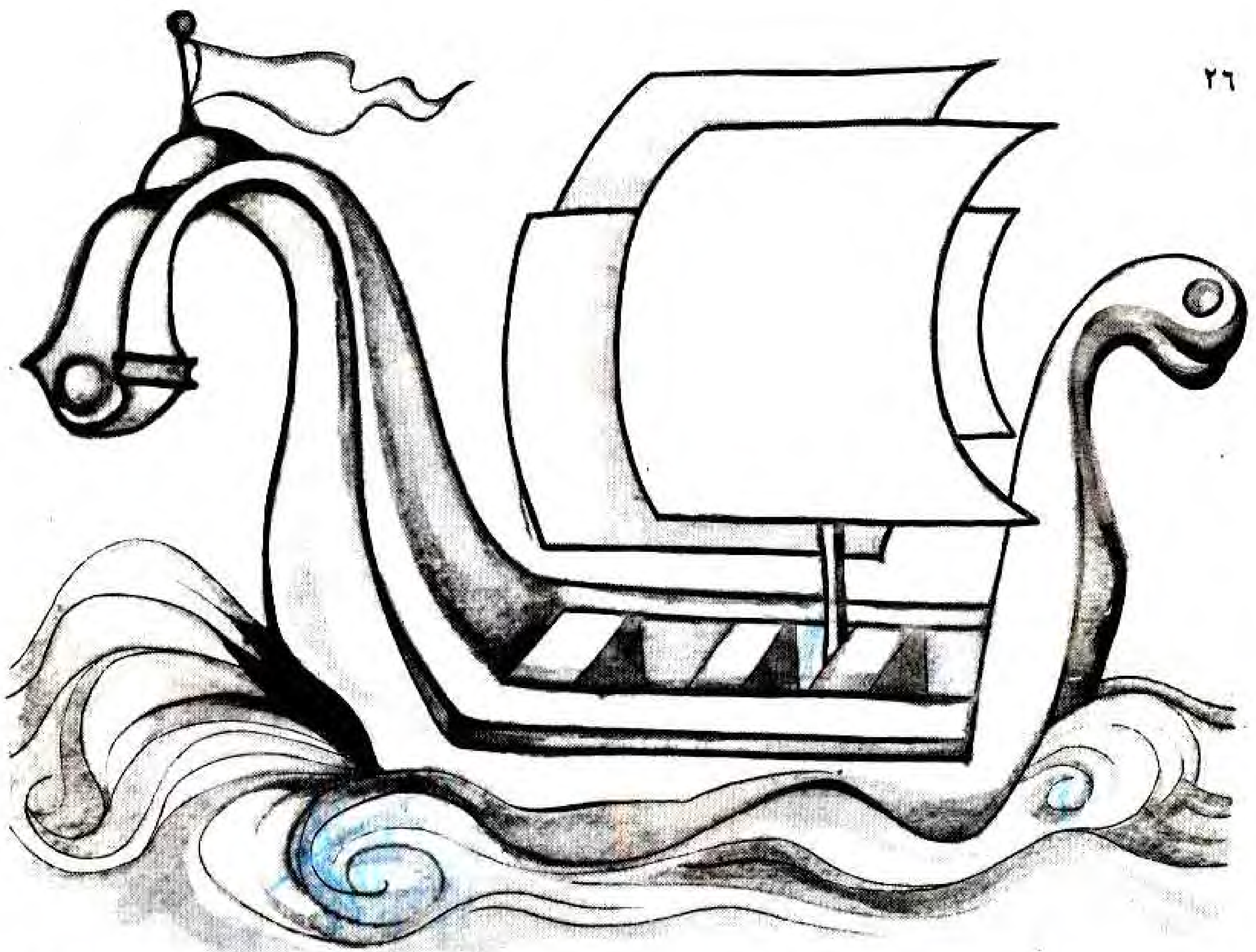
غُورِى بِشَرِّ النَّاسِ

فَانْشَقَّتِ الأَرْضُ عَلَى الْفَوْرِ ، وَأَحْدَثَتْ فَجْوَةً عَمِيقَةً بَعْدَ أَنْ كَانَ الْعِمْلَاقَ قَدْ مَدَّ ذِرَاعَهُ وَكَادَ يَقْبِضُ عَلَى الْفَرِيسَةِ.

وَتَابَعَ الْهَارِبانِ رَكْضَهُمَا إِلَى الْبَحْرِ ، فِى حِينَ كَانَ الْعِمْلَاقُ ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْهِيَاجُ أَشَدَّهُ، يَرُوحُ وَيَغْدُو كَدُبٍّ مَحْبُوسٍ فِى قَفَص.




فايزه



وَطَالَتْ بِهِ تِلْكَ الْحَال ، حَتَّى اسْتَرْعَتِ انْتِبَاهَهُ شَجَرَةٌ طَوِيلَةٌ ضَخْمَة ، فَاقْتَلَعَهَا مِنْ جُذُورِهَا ، وَرَمَاهَا فَوْقَ الْفَجْوَةِ وَاتَّخَذَهَا جِسْرًا طَبِيعِيًّا مَشَى فَوْقَهُ عَلَى مَهل ، وَاجْتَازَ الْهُوَّةَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَر .

وَكَانَ أَنْوَر وَكَرِيمَة قَدْ وَصَلَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَيَالَلْأَسَف ، زَوْرَقٌ وَلَا سَفِينَة ،

فَخَابَ رَجَاؤُهُمَا ، وتَوَقَّعَا الْمَوْتَ عَلَى يَدِ ذلِكَ الْوَحْشِ الْمُفْتَرِس . وَلَمْ تَفْقِدْ كَرِيمَة وَعْيَهَا ، فَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَتْهَا فِى الْبَحْرِ وَهِىَ تَقُول :

يَا كُرَتِى الْفِضِيَّهْ

عَوْنَكِ فِى الْبَلِيَّهْ

فَمَا كَادَتْ تَنْطِقُ بِهٰذِهِ الْجُمْلَةِ السِّحْرِيَّة، حَتَّى انْبَثَقَ مِنَ الْأَمْوَاج ، مَرْكَبٌ جَمِيلٌ سَبَحَا إِلَيْه ، وَحِينَمَا بَلَغَ الْعِمْلَاقُ الشَّاطِئَ ، كَانَتْ هٰذِهِ السَّفِينَةُ تَسِيرُ قُدُمًا فِى عُرْضِ الْبَحْرِ مَنْشُورَةَ الشِّرَاع .

وَقَصَدَ الْعِمْلَاقُ مَنْزِلَهُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ وَالْغَيْظُ يُقَطِّعُ قَلْبَه ، وَمَا إِنْ أَقْلَعَتِ السَّفِينَةُ بِالْهَارِبَيْنِ ، حَتَّى الْتَفَتَ أَنْوَر إِلَى كَرِيمَة وَقَال لَهَا فَرِحًا مَسْرُورًا :

– « لَقَدْ نَجَوْنَا . لَقَدْ نَجَوْنَا » .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة مُرْتَعِدَة مُضطَرِبَة .

– « لَا يَزَالُ الْخَطَرُ يُحَلِّقُ فَوْقَ رَأْسِنَا ، فَلِلْعِمْلَاق شَفِيعَةٌ مِنَ السَّاحِرَات ، وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَثْأَرَ لَهُ مِنَّا ... وَفِي يَقُولُ لِي إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِي لَحْظَةً وَاحِدَة ، عَرَّضْتَنِي لِلْخَطَر ، وَلَنْ يَزُولَ عَنِّي حَتَى أُزَفَّ إِلَيْك » . فَقَالَ لَهَا أَنْوَر مُبْتَسِمًا :

– « لَا تَخَافِي يَا عَزِيزَتِي ، فَإِنَّ حُبَّنَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ خطَر » .

* * *

كَانَتِ السَّفِينَةُ تَشُقُّ طَرِيقَهَا عَبْرَ الْأَمْوَاج ، وَكَأَنَّ يَدًا خَفِيَّةً تَدْفَعُهَا إِلَى بَلَدِ أَنْوَر ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ رَسَتْ فِي الْمِينَاءِ الَّذِي لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ أَنْوَر ، فَلَمْ تَكَدْ قَدَمُهُ تَطَأُ أَرْضَ الشَّاطِئِ ، حَتَّى الْتَفَتَ إِلَى السَّفِينَةِ يُرِيدُ أَنْ يَشْكُرَ الْمَلَّاحِينَ عَلَى جُهْدِهِمْ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِم ، وَلَكِنْ كَانَتِ السَّفِينَةُ قَدْ تَوَارَتْ بِمَلَّاحِيهَا كَأَنَّمَا



غَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .

وَلا تَسَلْ عَنْ فَرْحَةِ أَنْوَر حِينَمَا عَرَفَ مَزَارِعَ أَبِيهِ وَالْقَصْرَ الْقَائِمَ فِي وَسَطِهَا ، ومَالَ عَلَى كَرِيمَة يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ لَهَا عَنْ سُرُورِهِ بِعَوْدَتِهِ إِلَى قَرْيَتِهِ ، فَتَنَبَّهَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى مَلَابِسِهَا الزَّرِيَّةِ فَقَالَ لَهَا :

ـ « إِنَّ أُسْرَتِي تُعْنَى كَثِيرًا بِالْمَظَاهِرِ ، فَلَسَوْفَ تَسْتَاءُ إِذَا رَأَتْكِ عَلَى مِثْلِ هٰذَا الزِّيِّ الْحَقِيرِ ، وَلَسَوْفَ تَزْدَادُ اسْتِيَاءً إِذا ذَهَبْنَا إِلَى الْقَصْرِ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَام ، فَانْتَظِرِينِي قَلِيلاً أَعُدْ إِلَيْكِ بِثِيَابٍ جَمِيلَة ، وَبِفَرَسٍ تَرْكَبِينَهَا إِلَى الْقَصْرِ » .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة قَلِقَةً مُضْطَرِبَة :

ـ « لا تَتْرُكْنِي يَا أَنْوَر ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَنْسَانِي إِذَا لَقِيتَ أَهْلَكَ وَأَصْدِقَاءَك ... » .

فَقَاطَعَهَا أَنْور وَبَدَّدَ مَخَاوِفَهَا ، فَمَا وَسِعَهَا إِلَّا أَنْ تَرْضَى ،

وَلَـكِنَّهَا أَوْصَتْهُ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ :

ـ « اِذْهَبْ وَعُدْ إِلَيَّ سَرِيعًا ، وَلَسَوْفَ يُحِيطُ النَّاسُ بِكَ وَيُقَدِّمُونَ لَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَإِلَّا حَلَّتْ بِنَا نَحْنُ الاثْنَيْنِ مُصِيبَةٌ كَبِيرَةٌ » .

فَوَعَدَهَا خَيْرًا ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْقَصْرَ ، فَرَآهُ مُزْدَانًا بِالرَّايَاتِ مُزْدَحِمًا بِالْمَدْعُوِّين ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُون ، وَيَرْقُصُونَ وَيُغَنُّون ، وَقَدْ جَاءُوا يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ رَبِّ الْقَصْر .

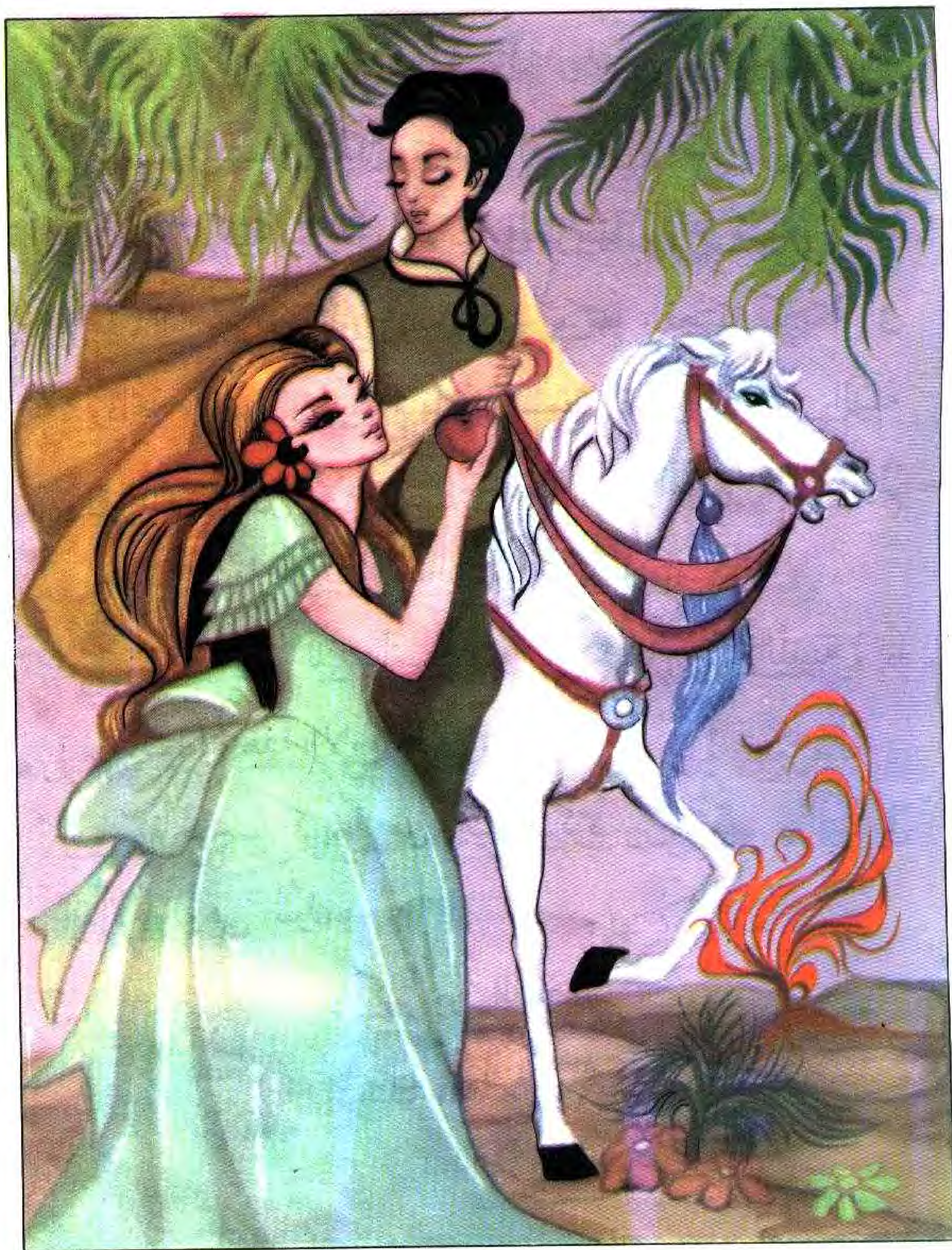
سَرَّ الْقَوْمَ ظُهُورُ أَنور بَيْنَهُم ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يُحَيُّونَه ، وَيُصَافِحُونَهُ وَيُقَبِّلُونَه ، وَيَطْرَحُونَ عَلَيْهِ مِئَاتِ الْأَسْئِلَةِ عَنْ رِحْلَتِهِ وَمُغَامَرَاتِهِ وَمَغَانِمِه ، فَمَا كَانَ يُجِيبُ عَنْ سُؤَال ، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بَعْدَ أَنْ قَبَّلَ يَدَ أَبِيه ، بِأَنْ يُهْرَعَ إِلَى غُرْفَةِ شَقِيقَتِه ، وَيَأْخُذَ مِنْهَا ثَوْبَيْنِ فَاخِرَيْن ، وَيُسَارِعَ بِهِمَا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَيُسْرِجَ فَرَسًا وَيُمْسِكَ بِلِجَامِه، ثُمَّ يَمْتَطِي جَوَادًا

مِنَ الْجِيَادِ ، وَيَخْرُجَ بِهِ وَبِالْفَرَسِ عَائِدًا إِلَى كَرِيمَة .

غَادَرَ الْقَصْرَ وَهَمَّ أَنْ يُطْلِقَ لِجَوَادِهِ الْعِنَان ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ سَيِّدَةٌ شَقْرَاءُ لَا يَعْرِفُهَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَفِي يَدِهَا تُفَّاحَة ، وَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً غَرِيبَة :

ـ « أَيُّهَا الْفَارِسُ الْجَمِيل ! لَقَدْ عُدْتَ مِنْ سَفَرٍ طَوِيل ، وَلَا أَظُنُّكَ إِلَّا جَوْعَانَ عَطْشَان ، فَاقْبَلْ مِنِّي هٰذِهِ التُّفَّاحَة ، وَكُلْهَا هَنِيئًا ، وَلَسْتُ أَعْتَقِد ، وَأَنْتَ الْفَتَى الْمُؤَدَّبُ الْمُهَذَّب ، أَنَّكَ نَسِيتَ آدَابَ الْكِيَاسَةِ وَالْمُجَامَلَة ، وَأَنَّكَ تَرْفُضُ رَجَاءَ سَيِّدَةٍ تُضْمِرُ لَكَ الْخَيْر » .

فَقَبِلَ أَنْوَرُ الرَّجَاء ، وَمَا كَادَ يَعَضُّ عَلَى التُّفَّاحَة ، حَتَّى تَوَلَّاهُ ذُهُولٌ شَدِيد ، فَتَرَجَّلَ وَقَدَّمَ ذِرَاعَهُ لِلسَّيِّدَة ، فَتَأَبَّطَتْهَا وَرَجَعَا مَعًا إِلَى الْقَصْرِ يُشَارِكَانِ فِي مَبَاهِجِ الْحَفْل . وَبَقِيَتْ تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى وَعَدَهَا بِالزَّوَاج ، وَنَسِيَ كَرِيمَةَ كُلَّ النِّسْيَان .



طَالَ الْوَقْتُ عَلَى كَرِيمَة وَلَمْ يَرْجِع الْحَبِيبُ الْمُنْتَظَر ، فَقَامَتْ والشَّمْسُ تَكَادُ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُق ، وَسَارَتْ فِي اتِّجَاهِ الْقَصْرِ بَاكِيَةً حَزِينَة ، وَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِكُوخٍ مُتَهَدِّمٍ وَقَفَتْ عَلَى بَابِهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ تَهُمُّ بِحَلْبِ بَقَرَتِهَا ، فَحَيَّتْهَا كَرِيمَة فِي وَدَاعَة وَأَدَب ، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِقَضَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي زَاوِيَةٍ مِنَ الْإِسْطَبْلِ ، فَحَدَّقَتْ إِلَيْهَا الْعَجُوزُ طَوِيلًا وَلَمْ تُعْجِبْهَا ثِيَابُهَا الْغَرِيبَة ، فَقَالَتْ لَهَا تُعَجِّزُهَا مُتَهَكِّمَة :

ـ « سَأَسْمَحُ لَكِ بِالْمَبِيتِ فِي الْإِسْطَبْلِ أَيَّتُهَا اللَّعِينَة ، إِذَا مَلَأْتِ لِي هٰذَا الْإِنَاءَ ذَهَبًا » .

فَأَخْرَجَتْ كَرِيمَة مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَأَلْقَتْهَا فِي الْإِنَاءِ وَهِيَ تَقُول :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ
مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

وَعَلَى الْفَوْرِ امْتَلأَ الإِنَاءُ بِقِطَعِ الذَّهَبِ، فَاسْتَوْلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى الْعَجُوزِ، وَقَفَزَتْ إِلَى الإِنَاءِ فَحَمَلَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الْكُوخِ وَهِيَ تَصِيحُ فِي كَرِيمَةَ:

– «الْكُوخُ وَالْبَقَرَةُ وَالإِسْطَبْلُ كُلُّ هٰذَا لَكِ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَة ... إِنِّي ذَاهِبَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعِيشُ فِيهَا عَيْشَ الأَمِيرَاتِ. آهٍ لَوْ لَمْ أَكُنْ تَجَاوَزْتُ السِّتِّينَ مِنْ عُمْرِي!».

وَمَضَتْ تُوسِعُ الْخُطَا إِلَى نَاحِيَةِ الْقَصْرِ. وَعَزَّ عَلَى كَرِيمَةَ أَنْ تَسْكُنَ هٰذَا الْكُوخَ الْحَقِيرَ بَعْدَ قَلْعَةِ الْعِمْلَاقِ، فَأَخْرَجَتْ مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً أُخْرَى مِنَ الذَّهَبِ، وَرَمَتْهَا فِي الْمَوْقِدِ الَّذِي كَانَتْ تَشْتَعِلُ فِيهِ بَعْضُ أَعْوَادٍ مِنَ الْقَصَبِ، وَقَالَتْ تُخَاطِبُ كُرَتَهَا:

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ
مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَغَمَرَ الْكُوخَ فِي الْحَالِ سَيْلٌ مِنَ الذَّهَبِ غَطَّى جُدْرَان الْكُوخِ وَالسَّقْفَ وَالْكَرَاسِيَّ وَالسَّرِيرِ، وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْكُوخِ حَتَّى قَرْنَى الْبَقَرَة . وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ بَلَغَ مِنْ كَرِيمَة مَبْلَغَهُ ، فارْتَمَتْ إِلَى السَّرِيرِ وَغَلَبَهَا النُّعَاسُ فَنَامَت .

وَحَكَتِ الْعَجُوزُ حِكَايَتَهَا لِلنَّاسِ وَالْحِجَارَة ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي قَرْيَةِ أَنْوَر إِلَّا عَلِمَ بِهَا .

وَعِنْدَ الْفَجْرِ نَهَضَ نَاظِرُ الزِّرَاعَة ، وَتَوَجَّهَ إِلَى كُوخِ الْعَجُوزِ مُسْتَطْلِعًا ، فَدَهِشَ لَمَّا رَأَى بَدَلَ الْكُوخِ بَيْتًا مِن الذَّهَب ، وَزَاغَ بَصَرُهُ عِنْدَمَا دَخَلَ الْبَيْتَ وَرَأَى فَتَاةً عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجَمَال ، جَالِسَةً قُرْبَ النَّافِذَة ، وَبِيَدِهَا مِغْزَلٌ تَغْزِلُ بِهِ الصُّوف .

وَكَانَ هٰذَا النَّاظِرُ شَابًّا مُعْجَبًا بِنَفْسِه ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْضَى بِهِ زَوْجًا ، فَضَحِكَتْ مِنْهُ وَاسْتَهْزَأَت ، فَهَدَّدَهَا بِالسِّجْنِ بِتُهْمَةِ

السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَة ، فَلَمْ تَكْتَرِثْ لَه ، وَكَانَتْ بَعْضُ جَمَرَاتِ الْمَوْقِدِ قَدْ تَدَحْرَجَتْ إِلَى أَرْضِ الْغُرْفَة . فَأَمْسَكَ بِالْمِلْقَطِ وَأَسْرَعَ يُعِيدُهَا إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة :

– « أَمْسِكْ جَيِّدًا بِالْمِلْقَط ، وَالْتَقِطْ بِهِ الْجَمْرَ ، وَأَعِدْهُ إِلَى الْمَوْقِد » .

ثُمَّ لَفَظَتْ هٰذِهِ الْكَلِمَةَ السِّحْرِيَّة :

– « أَبْرَا كَادَبْرَا » . وَأَضَافَتْ تَقُول :

– « اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مُمْسِكًا بِالْمِلْقَط تَلْتَقِطُ بِهِ الْجَمْرَ وَتُرْجِعُهُ إِلَى مَكَانِهِ » .

فَقَضَى الرَّجُلُ طُولَ نَهَارِهِ يَقُومُ بِهٰذَا الْعَمَل ، وَقِطَعُ الْجَمْرِ تَثِبُ فِي وَجْهِهِ ، وَالرَّمَادُ السَّاخِنُ يَطِيرُ حَوْلَ عَيْنَيْهِ وَيَكْوِيهِمَا بِحَرَارَتِه .

وَحَالَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ سَقَطَ الْمِلْقَطُ مِنْ يَدَيْ نَاظِرِ الزِّرَاعَةِ

فَفَرَّ هَارِبًا كَأَنَّ الشَّيْطَانَ أَوِ الْعَدَالَةَ تَجِدُّ فِى أَثَرِه .

وَفِى الْمَسَاءِ زَارَ كَرِيمَةَ زَائِرٌ آخَرُ هُوَ رَئِيسُ حَرَسِ الْقَصْرِ ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِقِصَّةِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يُجَرِّبُ هُوَ أَيْضًا حَظَّهُ فِى الزَّوَاجِ مِنْ هٰذِهِ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَة .

سَخِرَتْ مِنْهُ كَرِيمَة ، وَوَصَفَتْهُ بِقِلَّةِ الذَّوْقِ إِذْ تَرَكَ بَابَ الْغُرْفَةِ مَفْتُوحًا ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِى أَنْ يَحْمِيَ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقْبَلَ يَخْطُبُهَا وَفِى أَنْ يُجَنِّبَهَا الْهَوَاءَ الْبَارِدَ الَّذِى يَمْلأُ الْغُرْفَة .

وَمَا إِنْ سَمِعَ عِتَابَهَا حَتَّى مَشَى إِلَى الْبَاب ، وَأَمْسَكَ بِالْمِقْبَضِ يُرِيدُ إِغْلَاقَه ، فَقَالَتْ كَرِيمَة كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

— « أَبْرَا كَادَبْرَا . » وَأَضَافَتْ تَقُول :

— « اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى الصَّبَاحِ مُمْسِكًا بِالْبَاب ، تُغْلِقُهُ وَتَفْتَحُهُ عَلَى مَرِّ الدَّقَائِق » .

فَقَضَى الرَّجُلُ طُولَ اللَّيْلِ فِى حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ حَتَّى انْخَلَعَتْ

عِظَامُه . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ فُكَّتْ كَفُّهُ مِنْ مِقْبَضِ الْبَاب ففَرَّ يُسَابِقُ الرِّيح .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ كَرِيمَة ، فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا عَلَى رَجُلٍ جَالِسٍ إِلَى جِوَارِ سَرِيرِهَا ، قَاسِي الْمَظْهَر ، عَبُوسِ الْوَجْه ، وَكَانَ عُمْدَةَ الْقَرْيَة ، سَمِعَ هُوَ كَذَلِكَ بِأَخْبَارِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يَطْلُبُ يَدَ رَبَّةِ الذَّهَب ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ كَرِيمَة إِلَى الْإِسْطَبْل ، فَلَحِقَ بِهَا إِلَيْه ، وَاعْتَرَضَتِ الْبَقَرَةُ طَرِيقَه ، فَجَرَّهَا مِنْ ذَيْلِهَا إِلَى خَارِجِ الْإِسْطَبْل ، وَاغْتَنَمَتْ كَرِيمَة هٰذِهِ الْفُرْصَةَ وَقَالَتْ كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

– « أَبْرَا كَادَبْرَا » وَأَضَافَتْ تَقُول :

– « لِيُمْسِكْ بِكَ ذَيْلُ الْبَقَرَةِ حَتَّى تَدُورَا مَعًا حَوْلَ الْعَالَم » .

فَانْطَلَقَتِ الْبَقَرَةُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ تَجُرُّ مَعَهَا الْعُمْدَة ،

مُصَعِّدَةً فِى الْجِبَال ، هَابِطَةً إِلَى الْأَوْدِيَة ، مُجْتَازَةً الْأَنْهَار ، مُرَفْرِفَةً فَوْقَ الْبِحَار ، وَبَعْدَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ سَاعَةً مِنْ هٰذِهِ الرِّحْلَةِ الْعَجِيبَة ، تَوَقَّفَتِ الْبَقَرَةُ بِمَنْ تَجُرُّ مَعَهَا فِى سَاحَةِ الْقَرْيَة ، وَهَرْوَلَ الْعُمْدَةُ إِلَى بَيْتِهِ مُتَصَبِّبَ الْعَرَق ، مُحَطَّمَ الْأَضْلَاع .

. . .

بَيْنَمَا كَانَ هٰؤُلَاءِ الْعِرْسَانُ الثَّلَاثَةُ يَتَحَمَّلُونَ مِثْلَ ذٰلِكَ الْعَذَاب ، كَانَ أَهْلُ أَنْوَر بَلِ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا تُوَاصِلُ اسْتِعْدَادَهَا مُنْذُ يَوْمَيْنِ لِلاحْتِفَالِ بِزِفَافِ السَّيِّدَةِ الشَّقْرَاءِ إِلَى أَنْوَر .

وَيَوْمَ اكْتَمَلَ عِقْدُ الْمَدْعُوِّين ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ مَرْكَبَةً فَاخِرَةً مُزَيَّنَةً بِالْوَرْدِ وَالرَّيْحَان ، وَقَدْ حَفَّ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يَمْتَطُونَ الْخُيُولَ الْأَصِيلَة ، وَيَخْتَالُونَ بِمَلَابِسِهِمُ الْمُزَرْكَشَةِ وَسِلَاحِهِمُ الْبَرَّاق .

وَسَارَ الْمَوْكِبُ فِى طَرِيقِهِ إِلَى مَكْتَبِ مُوَثِّقِ الْعُقُود ، وَزَادَ السَّائِقُ مِنْ سُرْعَةِ الْمَرْكَبَةِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَجْتَازَ حُفْرَةً اعْتَرَضَتْهُ ، فَتَحَطَّمَتِ السَّارِيَةُ الْمَرْبُوطَةُ إِلَيْهَا الْجِيَاد ، وَانْقَسَمَتِ الْمَرْكَبَةُ شَطْرَيْنِ ، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ لَطَفَتْ بِالْعَرُوسَيْنِ فَلَمْ يُصَابَا بِأَذًى .

وَجِىءَ بِالنَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ لِإِصْلَاحِ الْمَرْكَبَةِ ، وَتَنَافَسَ الرِّجَالُ الْأَشِدَّاءُ يُحَاوِلُونَ رَفْعَ الْمَرْكَبَةِ مِنَ الْحُفْرَة ، فَذَهَبَ جَهْدُ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ ضَيَاعًا . فَاقْتَرَبَ عِنْدَئِذٍ نَاظِرُ الزِّرَاعَةِ وَرَئِيسُ الْحَرَسِ وَالْعُمْدَةُ مِنْ وَالِدِ أَنْوَر ، وَقَالَ الْأَوَّل :

– « إِنَّ فِى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِى نَرَاهُ يَلْمَعُ وَيَسْطَعُ عَنْ بُعْد ، فَتَاةً غَرِيبَةً عَنِ الدِّيَار ، تَنْفَرِدُ بِأَعْمَالٍ يَعْجِزُ عَنْهَا سِوَاهَا ، فَرَأْيِى أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا مِلْقَطَهَا ، وَنَضَعَهُ فِى مَكَانِ السَّارِيَة . . . » ، وَقَالَ الثَّانِى :

– « وَرَأْيِى أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَابَ غُرْفَتِهَا ، وَنَجْمَعَ بِهِ

شَطْرَى الْمَرْكَبَة . . . »، وَقَال الثَّالِث :

– « وَرَأْيِي أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَقَرَتَهَا الْقَوِيَّةَ وَنَرْفَعَ بِهَا الْمَرْكَبَة » .

فَوَافَقَ وَالِدُ أَنْوَر عَلَى هٰذِهِ الْآرَاءِ الثَّلَاثَة ، وَجَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ إِلَى مَنْزِلِ كَرِيمَة ، فَأَعَارَتْهُمْ مَا طَلَبُوا وَعَادُوا بِالْمِلْقَطِ فَحَلَّ مَحَلَّ السَّارِيَة ، وبِبَابِ الْغُرْفَةِ فَوَصَلَ بَيْنَ شَطْرَى الْمَرْكَبَة . وَرَبَطَ السَّائِقُ الْبَقَرَةَ إِلَى الْمَرْكَبَةِ فَانْتَشَلَتْهَا مِنَ الْحُفْرَةِ وَطَارَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لَا إِلَى مَكْتَبِ مُوَثِّقِ الْعُقُود ، بَلْ رَجَعَتْ بِهَا إِلَى الْقَصْر .

وَكَانَتِ الْمَوَائِدُ قَدْ أُعِدَّتْ ، وَالطَّبَّاخُونَ قَدْ أَتَمُّوا صُنْعَ شَهِيِّ الطَّعَام ، فَقَالَ وَالِدُ أَنْوَر :

– « غَدًا نَذْهَبُ إِلَى تَوْثِيقِ عَقْدِ الزَّوَاج ، أَمَّا الْيَوْم فَلْنَحْتَفِلْ بِزَوَاجِ أَنْوَر وَعَرُوسِه » .

ثُمَّ دَعَا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْجُلُوس ، وَجَلَسَ هُوَ فِي صَدْرِ

الْـمَـائِدَةِ الرَّئِيسَة ، وَأَجْلَسَ عَنْ يَمِينِهِ السَّيِّدَةَ الشَّقْرَاءَ فَأَنْوَر وَتَرَكَ الْـمَقْعَدَ الَّـذِى عَنْ يَسَارِهِ خَالِيًا .

وَكَانَتْ الْـمَعُونَةُ الَّـتِى بَذَلَتْهَـا لَهُمُ الْـفَتَـاةُ الْـغَرِيبَةُ قَدْ أَثَّرَتْ فِى نَفْسِهِ ، فَأَوْفَدَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُرْسَانِ يَدْعُونَها بِاسْمِهِ إِلَى شُهُودِ الْمِهْرَجَانِ الَّـذِى يُقَامُ احْتِفَاءً بِزَوَاجِ ابْنِهِ ، فَلَبَّتْ كَرِيمَة الدَّعْوَة ، وَنَفْسُهَا حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْت .

وَصَلَتْ كَرِيمَـة إِلَى الْقَصْر ، فَخَفَّ وَالِدُ أَنْوَر يُرَحِّبُ بِها أَجْمَلَ تَرْحِيب ، وَأَجْلَسَهَا عَنْ يَسَارِهِ فِى الْمَقْعَدِ الْخَالِى، فِى حِينَ نَظَرَ أَنْوَر إِلَيْها نَظْرَةً عابِرَةً وَلَمْ يَعْرِفْها ، فَحَزَّ الأَلَمُ فِى صَدْرِهَا وَقَالَتْ فِى نَفْسِهَا : وَدَاعًا أَيَّتُها الأَحْلامُ الْجَمِيلَة !

وَدَوَّى صَوْتُ وَالِدِ أَنْوَر يَقُول :

– « لِنَشْرَبْ جَمِيعًا فِى صِحَّةِ ضَيْفَتِنَا النَّبِيلَة ! »

وَشَاءَتْ كَرِيمَة أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى أَمَلِهَا الأَخِير ، فَأَخْرَجَتْ

كُرَةَ الذَّهَبِ مِنْ جَيْبِهَا ، وَهَمَسَتْ بِهَا قَائِلَةً وَهِيَ تَفْرُكُهَا :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ

مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَاسْتَطَالَتِ الْكُرَةُ فِي يَدِهَا ، وَأَصْبَحَتْ كَأْسًا كَبِيرَةً مِنَ الْبِلَّوْرِ ، فَمَلَأَتْهَا بِالشَّرَابِ ، وَرَجَتْ مِنْ أَحَدِ الْخَدَمِ أَنْ يُقَدِّمَهَا إِلَى أَنْوَر ، فَتَنَاوَلَهَا وَرَفَعَهَا إِلَى عَيْنَيْهِ عَلَى سَبِيلِ التَّحِيَّة ، فَاضْطَرَبَ اضْطِرَابًا شَدِيدًا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَأْسِ ، مَأْخُوذًا بِرُؤْيَا لَاحَتْ لَهُ فِيهَا ، وَأَرَتْهُ مَرَاحِلَ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَةِ مِنْ يَوْمَ لَقِيَ كَرِيمَة فِي بَيْتِ الْعِمْلَاقِ ، إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي تَرَكَهَا فِيهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ ، عَلَى أَمَلِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا بِثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَفَرَسٍ تَرْكَبُهَا إِلَى الْقَصْرِ . وَكَأَنَّمَا صَحَا مِنْ كَابُوسٍ ثَقِيل ، فَصَاحَ صَيْحَةً أَدْهَشَتِ الْحَاضِرِينَ وَهُوَ يَقُول :

— « كَرِيمَة ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ هَلْ تَصْفَحِينَ عَنِّي ؟ »



ثُمَّ ارْتَمَى عِنْدَ قَدَمَيْها بَاكِيًا مُنْتَحِبًا . . .

أَمَّا السَّيِّدَةُ الشَّقْرَاءُ ، فَقَدْ تَوَارَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ عِنْدَ صَيْحَةِ أَنْوَر ، وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا السَّاحِرَةَ شَفِيعَةَ الْعِمْلَاق .

وَأَكْمَلَ الْقَوْمُ مِهْرَجَانَهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَفَرَح ، وَزُفَّتْ كَرِيمَة فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى أَنْوَر ، وَاسْتَمَرَّتْ الْمَآدِبُ يَوْمَيْنِ مُتَوَاصِلَيْن .

وَعَاشَ الْعَرُوسَانِ حَيَاةً سَعِيدَةً هَانِئَة ، وَسَجَّلَ التَّارِيخُ لِكَرِيمَة ، كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِ الْقَرْيَة ، حَتَّى خَلَدَ ذِكْرُهَا بَيْنَهُمْ مُنْتَقِلًا مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيل ، وَمِنْ عَصْرٍ إِلَى عَصْر .

وَعَلَى سَبِيلِ الِاعْتِرَافِ بِجَمِيلِهَا ، أُقِيمَ لَها تِمْثَالٌ لَا يَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ مُرْتَفِعًا فَوْقَ بَقَايَا ذَلِكَ الْقَصْرِ الْقَدِيم ، وَهُوَ يُمَثِّلُ سَيِّدَةً حَسْنَاءَ تَحْمِلُ فِي كَفِّهَا خَمْسَ كُرَاتٍ صَغِيرَة . . .

أسئلة فى القصة

١ ـ لماذا أطلق أهل القرية على أنور لقب شجاع ؟
٢ ـ كم كان عمر أنور عند بدء رحلته وكم كان عمره عند العودة؟
٣ ـ أين نزل أنور بعد تحطم السفينة ؟ ومن قابل أولاً ؟
٤ ـ كيف استطاع أنور أن ينظف الإسطبل وأن يأتى بالحصان من فوق الجبل ؟
٥ ـ ماذا أخذت كريمة من بيت العملاق عندما هربت منه هى وأنور؟
٦ ـ ما الذى منع العملاق من أن يلحق بالهاربين ؟
٧ ـ لماذا طلب أنور من كريمة عندما نزلا بالشاطئ أن يغيب عنها قليلاً؟
٨ ـ ماذا طلبت المرأة العجوز من كريمة لتسمح لها بالمبيت عندها ؟
٩ ـ كيف تحول كوخ المرأة العجوز إلى بيت من الذهب ؟
١٠ ـ ماذا كانت كريمة تقول عندما كانت تستخدم كلاً من الكرات الثلاث ؟
١١ ـ ما الذى منع أنور من أن يعود إلى كريمة ؟
١٢ ـ ماذا جرى لمركبة أنور والسيدة الشقراء وكيف تم إصلاحها ؟
١٣ ـ من الذى دعا كريمة إلى حفل زواج أنور ولماذا ؟
١٤ ـ كيف عرف أنور حبيبته كريمة ؟
١٥ ـ ماذا صنع أهل القرية لتخليد ذكرى كريمة ؟
١٦ ـ اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .